الفصل الأول

السكان

مقدمة :

سيناء من الناحية البشرية جزء أكثر اتساعا وشمولا من شبه جزيرة ، فهى حلقة الاتصال بين شبه جزيرة العرب والشام ووادى النيل ، وكانت القبائل الرعوية حتى وقت قريب تتجول بحرية فى هذا الإقليم المتسع .

ونظراً لندرة الأمطار والمظهر الصحراوى لهذه البيئة فإنها لم تكف أهلها مطلقا ، فكانوا فى حركة دائمة وراء الكلأ والرعى .

وكانت هذه البلاد التى تفيض بسكانها لا تستطيع القيام بأودهم فلم يكن ثمة بد من أن تنبعث الموجات البدوية من هذا الخزان البشرى للهجرة إلى أطراف الهلال الخصيب ووادى النيل الأدنى .

ويتصور كثير من الباحثين أن هذه الهجرات كانت تخرج موجة إثر موجة ، ويعترفون بأن أقدم هذه الموجات ذكراً فى التاريخ هى تلك التى بدأت فى الألف الثالث ق . م وإن كان هذا لا يمنع من تصور هجرات حدثت قبل هذا التاريخ .

عرب سيناء :

ينقسم العرب على حسب رأى مؤرخيهم إلى العرب العاربة والعرب المستعربة ، أو إلى قحطان وعدنان ، أو اليمنية والعدنية ، ويرجع نسابو العرب العاربة أو قحطان إلى بلاد اليمن ، على حين أن العرب المستعربة من ولد إسماعيل عليه السلام عن شمالى الحجاز ، وقد ظل هذا التقسيم للعرب خلال الجاهلية والإسلام . بل إنه تبع قبائل العرب فى هجراتهم إلى الهلال الخصيب ومصر وشمال أفريقيا والسودان .

وكانت قحطان أسبق فى الحضارة والمدنية ، وعرفت بلاد اليمن القديمة حضارات عربية عريقة قبل الإسلام ، واتصلت ببلاد الحبشة والقرن الأفريقى (الصومال) ، كما كانت لها اتصالات تجارية وحضارية ببلاد فارس والمحيط الهندى ، وتعرضت نتيجة لتهدم سد مأرب فى القرن الرابع «ق . م»

تقريبا لكارثة اقتصادية وسياسية أدت إلى تفرق عرب اليمن ، وخرجت هجرات يمنية كثيرة ، نحو وسط وشبه جزيرة العرب ونحو بلاد الحبشة ونحو شمالى شبه جزيرة العرب ، فكان منهم اللخميون والغساسنة كما كان منهم الأنباط وهاجرت بعض قبائلهم إلى شبه جزيرة سيناء ومشارف مصر الشرقية ، ولم تقتصر الهجرات العربية إلى مصر على اليمنية أو القحطانيين بل كان فيها هجرات عدنانية ، فالعرب المستعربة وتشمل مضر وربيعة ومعاز ، وتفرع من مضر قيس عيلان التى خرج منها بنو هلال وبنو سليم وغضفان كما تفرع منها بنو تميم وكنانة التى تفرعت منها قريش .

أما ربيعة فتفرع منها بنو عطية وقبائل سيناء كلها تقريبا ، مثل التياها والترابين واللحيوات ومعازة وعنازة ، أما أهم قبائل قحطان التى دخلت سيناء فكانت جهينة وبلىّ وهما من قضاعة ، وقد اتجهت جهينة ، جنوبا إلى صعيد مصر وسهول السودان الشمالى وغرب النيل ، أما بلىّ فقد انتشرت فى الصحراء الشرقية ، وشارفت قرى محافظة القليوبية ، كما دخلت من قحطان قبائل من جزام وبنى واصل .

ويلاحظ فى توزيع قبائل سيناء استمرار بطون القبائل وعشائرها عبر الحدود إلى جنوبى فلسطين وجنوبى الأردن وشمالى الحجاز ، بل واستمرارها عبر قناة السويس إلى محافظتى الشرقية والقليوبية وانتشارها عبر خليج السويس إلى ساحل البحر الأحمر .

ولا يكاد يوجد خلاف كبير بين نسب قبائل سيناء – فيما يذكره المؤرخون فى العصور الإسلامية المختلفة – إلا اختلافات نشأت عن تحرك القبائل أو ازدياد نفوذ بعضها حينا وانكماشها حينا آخر .

القبائل البدوية فى سيناء :

يبلغ عدد السكان البدو فى شبه الجزيرة حوالى « ٥٥,٠٠٠ » نسمة يقابلهم « ٧٥,٠٠٠ » حضرى هم سكان العريش ورفح والقنطرة (شرق) والطور . ويسكن مدينة العريش وحدها نحو « ٤٥,٠٠٠ » نسمة من الحضر .

ويزعم عرب شمالى سيناء – فيما عدا الحويطات – أنهم من نسل وائل جد بنى عطية فى شبه جزيرة العرب والمعازة فى مصر ، إلا أنه من الصعب تتبع نسب القبائل البدوية لتدخل عدة عوامل أهمها الفرق بين نظام القبيلة والعشيرة (التى تسمى عائلة فى سيناء) : فالعشيرة جماعة من الناس تشترك فى نسب واحد يرجع إلى أصل واحد ، على حين أن القبيلة تتكون من عدد من العشائر لا يشترط فيها أن تكون ذات علاقة نسب بعضها ببعضها الآخر ، وقد يحدث أن تندمج أسرة أو عشيرة فى قبيلة من القبائل أو تخرج منها لتندمج فى قبيلة أخرى تبعا لظروف محلية مختلفة ، منها أن تحل بها هزيمة على يد قبيلة أقوى ، فتتعرض للسلب وينفرط عقدها ، ومنها الافتقار إلى وسائل القوة المادية مما لا يسمح لها بالاستقلال القبلى كأن تجدب مراعيها وتتناقص أنعامها فتتشتت عشائرها ، وتنضوى تحت ولاية قبائل

أخرى تمتاز بالقوة والغنى ، تدفع لها الخوة (الخاوة) نظير حمايتها ، وقد تنتقل زعامة القبيلة من أسرة إلى أخرى ويصحب ذلك تغيير فى اسم القبيلة ذاتها ، ولذلك كان استجواب رؤساء العشائر ومشايخ القبائل عن أصول قبائلهم مدعاة فى كثير من الأحيان إلى الوقوع فى الخطأ .

وتعتبر قبائل بلىّ أقدم العناصر العربية التى فى شبه جزيرة سيناء ، وإن كانت من أقلها عددا وأضألها شأنا الآن ، وربما رجع مقامها فى أرض الجفار (شمالى سيناء) إلى القرون الأولى للمسيحية ، عندما كان للأنباط مملكة واسعة تمد نفوذها إلى شمالى سيناء ، هذا إلى أن الدولة البيزنطية كانت تعهد إلى بعض بطون العرب لحراسة حدودها الشرقية ، وأشهرهم الغساسنة وأحلافهم من لخم وجزام ، وهى بطون من كهلان ، وقد امتد نفوذ هذه القبائل من عمان إلى القبة (آيلا) ، ومن هذه إلى حدود «مديرية الشرقية» وكانت كلها كما ذكرنا تدين بالمسيحية وقد وجدها الفاتحون العرب المسلمون فى هذا الطريق عند دخولهم مصر . . ولكن بعد الفتح العربى الإسلامى لم تعد سيناء هدفا فى ذاتها للقبائل المهاجرة ، إذ وجدت فى ريف مصر الخير العميم ، واقتصرت أهمية سيناء على كونها مجرد طريق عبور للقبائل العربية المهاجرة إلى مصر ، وقد ظل الحال كذلك حتى العصر المملوكى التركى (القرن الرابع عشر) الذى لم ينظر بعين الارتياح إلى ازدياد العنصر العربى فى مصر ، ومن ذلك الحين بدأت موجات عربية أخرى فى تعمير شبه جزيرة سيناء بعد أن كانت مجرد طريق مرور .

أهم التغييرات التى طرأت على توزيع القبائل فى سيناء منذ الفتح الإسلامى :

– هاجرت جزام ولخم من شبه جزيرة العرب إلى مديرية الشرقية .

– قوى شأن قبيلة ثعلبة فى جنوب فلسطين وامتد نفوذها إلى شمالى سيناء من القرن العاشر حتى الرابع عشر ، بعده ضؤل شأنها أمام ضغط قبائل أخرى من بنى عطية (السواركة والتراين) إلا أن بقايا ثعلبة لا يزال ماثلا فى قبائل ضئيلة الشأن ، أهمها البلىّ والعائد ، وقد هاجر معظمهم إلى ريف مصر وخاصة بلبيس .

– كان السواركة يحتلون معظم شمالى سيناء إلى الجنوب والغرب من العريش إلى أن ضغط عليهم التراين والتياها من الجنوب فانكشفت منطقتهم .

توزيع السكان ومراكز تجمعهم :

يبلغ عدد سكان شبه الجزيرة حتى الآن «١٣٠٨٤٩» نسمة (من واقع بيانات تعداد ١٩٦٦ للجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء) وكان الدكتور محمد صبحى عبد الحكيم مدرس الجغرافيا بكلية الآداب جامعة القاهرة قد ذكر فى بحثه المنشور فى موسوعة سيناء ١٩٦٠ أن عدد سكان شبه الجزيرة «١٢٧,٠٨٠» وزعها على أقسام محافظة سيناء السبعة كما يلى :

الشيخ زويد	٢٠٦٣٠
العريش	٤٨٧٥٠
بير العبد	١٢١٠٠
القنطرة شرق	٢٠٦٠٠
نخل	١٢٠٠٠
الشط	٥٠٠٠
الطور	٨٠٠٠

وكثافة السكان فى شبه الجزيرة لا قيمة لها من الناحية العلمية ، فعددهم محدود للغاية بالنسبة لمساحة سيناء - فسيناء تعتبر فى مجموعها من مناطق اللامعمور ، ويتميز توزيع السكان فى سيناء بالتركيز فى عدد محدود من المناطق وباقى الأنحاء تكاد تكون خالية من السكان ، ويتركز معظم السكان فى الأطراف بصفة عامة وقلب شبه الجزيرة يكاد يكون خاليا .

ويمكن القول أن هناك ارتباطا واضحا بين توزيع السكان والتضاريس ؛ فمعظم مراكز التجمع فى مناسيب تقل عن مائتى متر بالنسبة لمستوى سطح البحر .

وهناك منطقتان واضحتان لتجمع السكان : الأولى السهل الساحلى الشمالى المحصور بين ساحل البحر المتوسط وخط كنتور ٢٠٠ متر ، وفيها العريش ورفح ، والشيخ زويد وبير العبد والقنطرة شرق ، والأخرى السهل الساحلى الممتد بامتداد خليج السويس ، ويمتد شرقا خط كنتور ٢٠٠ م وفيه الطور وأبو رديس وأبو زنيمة وسدر . وفى هاتين المنطقتين يسهل الحصول على المياه الجوفية والانتفاع بها ؛ كما أنهما تتمتعان بنصيب من طرق المواصلات إذا قورنت بسائر أنحاء شبه الجزيرة .

وكان ضيق السهل الساحلى على خليج العقبة ، وعدم توافر طرق المواصلات ، وانعدام الاتصال بين السهل والساحل وسائر أجزاء شبه الجزيرة ووادى النيل ، وفقر ساحل خليج العقبة – السبب فى ضآلة انتشار السكان .

العريش :

وتمثل العريش أكبر مراكز التجمع البشرى فى شبه جزيرة سيناء ، وعدد سكانها فى الوقت الحاضر « ٣٥,٠٠٠ » نسمة أى ما يعادل ٢٧٪ من مجموع سكان شبه الجزيرة . والمدينة الأولى فى سيناء يقال : إنها قائمة على أنقاض مدينة قديمة من مدن المصريين القدماء . وكانت تدعى (ريوكلورا) أى مجذوم الأنف ، وقيل : إن سبب هذه التسمية أنها كانت منفى للذين حكم عليهم بالإعدام ، واستبدل بالحكم جدع الأنف . كما يقال : إن العريش هو الاسم الذى أطلقه العرب على هذه المدينة ، ربما لأن أهلها كانوا فى قديم الزمان يسكنون مظلات من القش على هيئة عرائش .

وأكثر المدن سكانا بعد العريش فى سيناء (القنطرة شرق) ولا يتجاوز عدد سكانها «٥,٠٠٠» نسمة ، ورفح التى يقدر عدد سكانها بحوالى «٣,٥٠٠» نسمة ، وهاتان المدينتان على حدود شبه الجزيرة ، ولا يمكن اعتبارهما بحق من مدن سيناء : فالأولى فى منطقة قناة السويس ، والأخرى فى سهل فلسطين .

القبائل فى سيناء فى العصور القديمة :

تدل الآثار التى خلفها الفراعنة فى سيناء أن سكان هذه الجزيرة منذ بدء التاريخ كانوا من أصل سامى ، وكانوا يتكلمون لغة غير اللغة التى يتكلمها المصريون . وقد أطلق عليهم المصريون اسم «هيروشايتو» أى أسياد الرمال ، وعرف سكان جنوب سيناء خاصة باسم «مونيتو» كما ذكرتهم التوراة عند كتابة تاريخ مرور بنى إسرائيل بالعمالقة .

وفى أوائل القرن السادس الميلادى عرفوا باسم الأعراب بنى إسماعيل ، وفى أوائل القرن السابع ظهر الإسلام فى الجزيرة العربية ، وفتح المسلمون شبه جزيرة سيناء ، فتغلبوا على سكانها الأصليين وسكنوها .

وأقدم القبائل الأصلية التى بقى لها أثر فى الجزيرة بعد الفتح الإسلامى هم : الحماضة ، والتبنة ، والمواطرة فى حوبى سيناء ، والبدارة فى جبال العجمة من بلاد التيه ، وقد دخلوا فى حمى الفاتحين واتخذوا لغتهم وديانتهم وعاداتهم وإن ظلوا بعيدين عنهم لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ، ولا يقيمون حربا عليهم ، وهم تقريبا أشبه بالقبائل المرابطة فى الصحراء الغربية .

الحماضة :

مشهور أنهم كانوا أسياد البلاد قبل الصوالحة ، وكان مجتمعهم فى حديقة فيران . وهم الآن شرذمة قليلة وقد دخلوا فى حمى العليقات .

التبنة :

من سكان حديقة فيران الأصليين ، ومازالوا يزرعون أرضها ويعتمدون على نخيلها .

المواطرة (الموانزة) :

يسكنون حديقة الحمام قرب مدينة الطور ، ويعيشون على الزراعة والنخيل ، وهم كالتبنة وتذكر بعض الكتب القديمة التى فى دير سانت كاترين (١٥٩٢ م) أن التبنة والمواطرة من أصل واحد أعرق فى القدم من الحماضة ، ولعلهم بقية نصارى فيران (وراية) الذين غلبوا على أمرهم بعد الفتح الإسلامى وهم الآن فى حمى الصوالحة .

البدارة :

عددهم قليل ويسكنون جبال العجمة ، وربما سميت الجبال بالعجمة نسبة إليهم ، فقد وجدهم العرب يتكلمون لغة أعجمية ، وكانوا حلفاء لقبيلة التياها ، ثم اختلفوا معا وحالفوا قبيلة الصفايحة وقبيلة اللحيوات ، ولهم علاقات حسنة مع قبيلة العليقات .

وقد سكن أهل البلاد الأصليون فى المغارات والكهوف ، وفى منازل محكمة البناء من الحجر والطين استخدمت فى القتال ، عرفت عند العرب بالنواويس ، ولا يزال الكثير منها قائما على رءوس الجبال وضفاف الأودية الشهيرة ، ويرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

العرب المسلمون :

كانت هناك أكثر من (٧٥) قبيلة هاجرت من نجد والحجاز فى فترة واحدة بعد الفتح الإسلامى لفلسطين وسيناء ومصر ، وأكثر القبائل التى سكنت سيناء منهم لم تثبت فيها ، وهاجرت مرة أخرى إلى مصر وسوريا ، ومن هذه القبائل : الوحيدات ، والرشيدات ، والرتيمات ، والجبارات ، والعايد ، والمعازة ، والطميلات ، وبنو واصل ، وبنو سليمان والعيايدة ، والنفيعات .

أما الوحيدات والرشيدات فعلى الأرجح أنهما فرعان من بنى عطية ، وكانوا يقومون بحراسة النقب ، ولم يعد هناك منهم أحد فى سيناء وإن كانت هناك بقية من الوحيدات فى غزة ، وقد آلت حراسة النقب منذ عهد بعيد إلى قبيلة أخرى من بنى عطية وهى العمران الحويطات .

أما الرتيمات والجبارات فكانت مساكنهما شرق العريش حتى طردهم الترابين إلى غزة فى أوائل القرن التاسع عشر بعد حرب دامت نحو عشرين عاما .

أما العايد فهم الآن يقيمون فى منطقة بلبيس بمحافظة الشرقية ، وقد تحضروا وتركوا البادية ، وأسندت إليهم الحكومة المصرية قديما خفر المحمل الشريف من مصر إلى العقبة ، وكان لهم الإشراف على قبائل (الطّورة) جنوبى سيناء .

وينتهى نسب (العايد) إلى عقبة إلى جزام إلى قحطان ، وكانت جزام من جملة من دخلوا مصر مع عمرو بن العاص .

أما المعازة والطميلات فرحلوا من سيناء إلى مصر .

أما بنو واصل فيرجع نسبهم إلى بنى عقبة من عرب الحجاز ، فهاجروا إلى جنوبى سيناء ، واقتسموا المنطقة والحماضة ، فكان لهم القسم الجنوبى إلى وادى فيران وللحماضة القسم الشمالى من المنطقة ، ثم نشبت الحرب بينهما بسبب نقل الحجاج المصريين الذين كانوا يأتون بطريق الطور فلحقهم الضعف حتى جاء الصوالحة والنفيعات من الحجاز ، واستولوا على المنطقة ، فانضم من بقى من الحماضة إلى

النفيعات ثم إلى حلفائهم العليقات ، وانضم من بقى من بنى واصل إلى الصوالحة . .

أما عرب بنى سليمان فكانوا من قبيلة قوية فى الجزيرة ، وعندما ضاق بهم العيش فى سيناء رحلوا إلى مصر وسكنوا محافظة الشرقية .

أما العيايدة ، فبعد أن استوطنو جنوب سيناء رحلوا عنها بسبب القحط وأقاموا فى محافظة الشرقية وغربى العريش .

أما النفيعات : فقد دخلوا جنوبى سيناء مع الصوالحة ، وشجعهم ضعف الحماضة وبنو واصل على الاستيلاء على المنطقة واقتسامها فيما بينهم ، كما اقتسموا حراسة الدير ونقل الحجاج والسياح .

ثم جاءت العليقات من الحجاز إلى الجزيرة وحالفوا النفيعات ، وسكنوا أولا عين السدرة والنويبع ، وعندما حل القحط بالجزيرة رحل النفيعات إلى مصر ، وسكنوا محافظة الشرقية ، وحل محلهم فى الجزيرة حلفاؤهم العليقات ومن بقى منهم (السواعدة) انضم للعليقات .

والمعروف قديما أن القبائل شطران : شطر يسمى (سعدا) وشطر آخر يقال له (حرام) ولتعليل ذلك روايتان :

الأولى :

إن هذا الانقسام يرجع إلى مقتل الحسين : فالذين غلبوا فى تلك الواقعة قالوا اليوم (حرمنا النصر) فكانوا شطر حرام ، والذين فازوا قالوا (اليوم سعدنا) فكانوا شطر سعد .

والرواية الأخرى تقول :

(سعد وحرام) شقيقان أحبا فيما مضى من الزمان بنت أمير من العرب ، فانقسمت العرب قسمين : أحدهما انحاز إلى سعد ، والآخر إلى حرام ، وحدثت حرب عامة بين البدو بسببها تسمى كل قسم بالأمير الذى انتمى إليه .

أما قبائل سعد فهى :

التياها ، والسواركة ، والرميلات ، والعيايدة ، والسماعنة ، والأخارسة ، وأولاد على ، والبياضين .

أما قبائل حرام فهى :

الطورة ، والحويطات ، واللحيوات «الترابين والعقليين» .

قبائل سيناء المعاصرة :

ذكرنا فى المقدمة نبذة عمن سكنوا شبه الجزيرة قبل بداية الفتح الإسلامى ، وسكان سيناء الآن الذين سيأتى ذكرهم هم فى غالبيتهم امتداد للعناصر البشرية التى استوطنت سيناء بعد الفتوح الإسلامية . وسنحاول توزيع قبائل سيناء طبقا للحدود الجغرافية لشبه الجزيرة التى تقسم إلى ثلاث مناطق :

المنطقة الأولى : «جنوبىّ سيناء» :

وهى تمثل نصف الجزيرة الأكثر وعورة . ويحدها شمالا الخط الواصل بين الشط غربا وطابا شرقا ، وشرقا خليج العقبة ، وغربا خليج السويس . وكان يطلق على هذه المنطقة قديما بلاد الطور .

المنطقة الثانية : «وسط سيناء» :

وهى المنطقة الوسطى ويحدها الخط الواصل بين الشط وطابا جنوبا والطريق الأوسط (الإسماعيلية أبو عجيلة) شمالا ، وخط الحدود عند العوجة شرقا ، وقناة السويس غرباً ، وكانت تسمى قديما ببلاد التيه .

المنطقة الثالثة : «شمالى سيناء» :

وهى الجزء الباقى من شبه الجزيرة شمالا حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تسمى قديما ببلاد العريش .

(أ) قبائل جنوبى سيناء :

العليقات ، ومزينة ، والعوارمة ، وأولاد سعيد ، والقرارشة ، والجبالية ، والترابين ، واللحيوات .

العليقات : (٢٥٠٠ نسمة)[1] وتقطن المنطقة من الرملة إلى وادى غرندل ، وأهم فروعها أولاد سلما ، والتليلات ، والحمايدة ، والخريسات ، وينضم إليهم الحماضة والسواعدة النفيعات .

مزينة : «أم زينة» (٤٢٠٠ نسمة) وتقطن المنطقة جنوب مدينة الطور وبحذاء الشاطئ إلى رأس محمد جنوبا ، ثم شمالا إلى النويبع ، فالرملة ، وأهم فروعها العلاونة ، والشذاذنة ، والعويصات ، وأولاد على ، ويرجعون فى أصلهم إلى عرب بنى حرب ، وقد اشتهروا بحب السلام ولين العريكة والأمانة مع أنهم فقراء ، ويسكن مع مزينة فى جهة النويبع نفر من العزايزة .

العوارمة : (١٥٠٠ نسمة) ويسكنون قلب جنوبى سيناء وفروعها العوارمة ، والفوانسة ، والرديسات ، ومنهم أولاد شاهين ، والنواصرة ، والمحاسنة .

---

(١) طبقاً لتعداد عام ١٩٦٥ .

أولاد سعيد . (١٠٠٠ نسمة) ويسكنون قلب جنوبى سيناء ، وهم أقارب يسكنون جهة قلبوب بمصر وفروعها : أولاد سعيد ، والزهيرات ، والعوامرة ، وأولاد مسلم ، وأولاد سيف ، والرزنة .

القرارشة : (١٥٠٠ نسمة) يسكنون قلب جنوبى سيناء ، وفروعها الصيرات ، وأولاد تيهى ، ويقال إنهم من عرب قريش دخلوا شبه الجزيرة مع العوارمة وأولاد سعيد ، وكانوا حزبا واحدا ، وبالنظر لرفعة نسبهم فإن شيخهم شيخ للطور كافة «جنوبى سيناء» .

وبلاد الصوالحة التى يسكنها الآن العوارمة وأولاد سعيد والقرارشة تحيط بها أراضى قبائل مريبة ، والعليقات كدائرة غير مكتملة .

الحبالية : وقد حص الكتاب الأوروبيون قبيلة الحبالية لصعوبة التى تسكن حول ديرسانت كاترين بالذكر ، وزعموا أنهم من سلالة الحرس الصقالبة الذين أرسلهم جستنيان لحراسة الدير . وقد جهد هؤلاء الكتاب أنفسهم فى إيجاد وجه خلاف بينهم وبين بقية البدو من النواحى الجسمية إلا أن قبيلة الحبالية هذه التى تعيش على ما يقدمه الرهبان لهم من الدير وبساتينه قد ركنت إلى الهدوء والسكينة بجانب الرهبان حتى لقوا الاحتقار من جانب البدو الآخرين فهم لا يصاهرونهم مطلقا . وكان الحبالية نصارى ، ودخلوا فى دين الإسلام ، وماتت آخر امرأة مسيحية منهم عام ١٧٥٠ ، وهم خليط من أروام ، ومصريين ، وفروعهم ، الخريدة ، وسلايمه ، والوهيبات ، وأولاد جندى ، وعددهم تقريبا «٥٠٠ نسمة» .

اللحيوات : «الأحيوات» ٤٥٠٠ نسمة وهم من بنى عطية المساعيد المنتسبين إلى مسعود ابن هايل . وارتحل المساعيد وبنو عقبه من نجد ، ونزلوا فى وادى العرب . وكان مع المساعيد قوم من عرب مطير يعيشون معهم فى مقابل حمل مادى ، فاستثقلوا دفعها ، واستغاثوا ببنى عقبة ليتخلصوا منه . وتطور الأمر إلى قتال بوادى عربة كان النصر فيه للمساعيد بعدها ذهب بنو عقبة إلى بلاد الكرك .

وانقسم المساعيد ثلاث فرق : فرقة ذهبت شرقا وسكنت قارعة المسعودى وراء حوران ، والثانية عربا ، وسكنت أرض مصر وعرفت بأولاد سليمان ، وبقى منها بقية عرب العريش حافظت على اسم المساعيد ، والثالثة ذهبت جنوبا بشرق فسكنت وادى الليث فى الحجاز على مسافة ٥٠ ميلا جنوب العقبة ، وتخلف من هذه الفرقة قوم فى وادى الجرافى فمرغ زادهم . فأحدوا يقتاتون بنبت الحوى فسموا الأحيوات .

وتجمعاتهم الرئيسية فى حبل المغارة والجفجافة وسر الحمير الأحيقة وعين سدر وحبل نضيع وبئر النمد وثغل وحبل أم خشيب وجبل الحدى وجبل سحابة عرب جبل أم لاصية وجنوب جبل حمر وجبل العرف والكنتلة ورأس النقب . وأهم فروعها النحوت والحناظلة والكسامسة والسلاميون والغريقاتيين المطور والكردمة والحميرات والصفايحة والحواطرة والحلايفة والشواهين والنصار والعقبان

ومشايخ اللحيوات وكلهم من النجمات ذرية نجم بن سلامة بن غانم بن شوفان بن سعد صادق الوعد ، وكان نجم هو أول من أخذ (الصرة) من الحكومة المصرية لحماية طريق الحج .

وقد اشتهر الشوافون بين اللحيوات بالصلاح والتقوى ولهم فى شبه الجزيرة عدة قبور تزار منها قبر الشيخ حمدان والشيخ مسلم والشيخ صبيح والشيخ عمر وقبر الحجاج وأبو ديب .

الترابين : (٣٠٠٠ نسمة) وهم من أقوى قبائل سيناء والمشهور عنهم أنهم من نسل الحسن أخى الحسين . ويسكنون نواحى الجورة والبواطى والمقضبة والعمر وأم قطف (أم كتاف) والروافعة وجبل المغاورة والجفجافة وجبل الراحة . كما أن الكثير منهم فى غزة ومنهم طائفة فى محافظة الجيزة .

وقد سكن فريق منهم شرق جنوبى سيناء . ولا يزال منهم بقية هناك فى النويبع وعين أحمد وعين جزيع وعين العافولة . وتذكر المراجع أن الترابين والوحيدات والحويطات واللحيوات من أصل واحد من بنى عطية .

ومما قيل أيضا فى أصل الترابين أنهم من جد يقال له نجم قدم إلى سيناء مع رجل يدعى الوحيدى من ذرية الحسن ونزلا على شيخ كبير من بنى واصل فى جبل طور سيناء وتزوجا ابنتيه . فكان نجم جد الترابين ، وهم مشهورون بالبسالة وقبح الصورة . كما اشتهروا بالألفة والاتحاد والوحيدى جد الوحيدات وهم مشهورون بالكياسة وحسن الصورة . وأشهر فروعهم الحررة والحسابكة والشنبات والدلالة والعويضات والعصار والعرجانى والجرامية وأبو سحبان وابن جازى وابن زاهد والبدارة والجهامات وأبو فقير والطيور والبحبح . وهناك قسم كبير من الترابين فى جنوبى فلسطين أهمهم الصوفى وأبو سنة وأبو غالية وأبو الحصين وأبو بكرة وأبو عويلة . هذا وقد اشتهرت قبائل جنوبى سيناء عموما بالضيافة واتحاد الكلمة وإذا لحقهم أذى قاموا كلهم قومة رجل واحد لأخذ الثأر .

(ب) قبائل وسط سيناء (بلاد التيه)

يسكن وسط سيناء التياها والحويطات ، وتمتد فى داخلها مناطق إقامة أفراد من الترابين واللحيوات والعيايدة والحويطات .

التياها : (٤٥٠٠ نسمة) أخذت القبيلة اسمها من سكناها لمنطقة وسط سيناء التى كان يطلق عليها اسم التيه والتى تضم جبال التيه التى تاه فيها قوم موسى أربعين عاما فى أثناء خروجهم من مصر . كما تسكن بعض بطون هذه القبيلة جنوب سوريا . وأهم فروعها فى سيناء الصغيرات والبنيات والشتبات والفديرات والبريكات . .

والتياها من أقدم القبائل التى سكنت وسط سيناء ، ويرجع أصلهم إلى بنى هلال من نسل سليمان العنود من برية نجد ، وقد هجروا بلادهم فرارا من المعازة . ودخلوا شبه الجزيرة فى وقت واحد مع الترابين ، ووقعت بين القبيلتين حرب على عين سدر كان الفوز فيها للتياها ، وعندما اصطلحتا قررتا أن

تسكن التياها المنطقة من جبل الحلال شمالا إلى عين **أبو متيقنة** ومن مطلة نخل شرقا إلى جبيل حسن غربا . ويسكن التراين شمال جبل الحلال بين التياها والسواركه وامتدوا شمالا بشرق حتى غزة .

وأشهر مراكز التياها نخل ، جنوب جبل الحلال (بير الحضيرة) ، عين القسيمة ، عدّ المويلح وجبل يعلق ووادى الروك وجبل الحزم والمنطيح والمتمنى وطلعة البدن وأشهر مزارعهم فى منطقة أودية المويلح والصابحة والقسيمة وحرامْ ومعظم وادى العريش . ويسكن فرع القديرات فى الوادى المسمى باسمه والبريكات واديبىً ماين وُقرَّيه ، وقد اشتهرت التياها بالبساطة والمشاكسة .

الحويطات : (١٥٠٠ نسمة) وتسكن شراذم منها وسط سيناء ، وقد جاءوها حديثا من مصر والحجاز ، وأقدمهم فيها الدُّبور ، وكانت هناك جماعة من فرع الغامين نشب بينهم وبين التياها خصام ، فعادوا إلى جزيرة العرب عام ١٩٠٦ ، وتمتد أراضى الحويطات جنوب جبل أم خشيب شمالا وجبل سمارة جنوبا ومن جبيل حسن شرقا إلى خليج السويس غربا ، وأشهر مراكزهم بير مبعوق وبير المرة فى وادى الراحة . وعين سدر فى وادى سدر . . ومنهم حويطات حسما والعقبة وهم فريقان : العلويون والعمران ، ومن الحويطات قبيلة كبيرة فى محافظة القليوبية ، وقد اشتهر عن الحويطات الميل إلى التعدى والسرقة .

(جـ) قبائل شمالى سيناء : (بلاد العريش)

وتسكن المنطقة الشمالية قبائل « الرميلات والسواركة والرياشات وبلىّ البررة والدواغرة والبياضية والسماعنة والفعايلة والملاعبة والأخارسة والمساعيد والعيايدة .

١ – الرميلات : وكانوا يسكنون قديما جنوب غربى فلسطين بإقليم خان يونس ثم ارتحلوا إلى العريش بسبب حروب بينهم وبين التراين ، وانضموا إلى السواركة بالأخوة ، فصاروا قبيلة واحدة ويسكنون الآن المنطقة ، ويشتهرون بحب الخصام ، ويقال عنهم : إذا كان لهم حق أخذوه عنوة واقتداراً وإن كان عليهم لم يمكنوا الخصم منه إلا بكل مشقة ، وأهم فروعهم البسوم والشرطيون والعوابدة والسننة والعجالون وأبوصبيع وأبوعياد وأبو عبد الله وأبو شيخة .

٢ – السواركة : (١٢،٠٠٠ نسمة مع الرميلات) يمتازون بنظافة المأكل والملبس وكثرة العدد وضعف الرأى وفروعها الرئيسية العردات والدهيمات ومنهم الجريرات والمحافيظ والفلافلة والخناصرة وأبو داود وابن عوض ومريشد وابن عراجة وأبو عيطة ، ويسكنون المنطقة من بير العبد إلى جنوب الشيخ زويد .

٣ – وتسكن باقى قبائل العريش فى القسم الغربى ، وتعرف باسم عربان (برقطية) ، وهى فروع صغيرة من القبائل المعروفة بهذه الأسماء فى محافظتى الشرقية والقليوبية إلا المساعيد فيعرف إخوانهم فى مصر بأولاد سليمان وعددهم (٤٥٠٠ نسمة) .

(ا) **البياضية** : ويسكنون المنطقة من بير العبد شرقا إلى رابعة غربا ، وفروعهم تشمل الهرش وأبو يمانى وأبو مرزوقة وسيد أحمد .

(ب) **الدواغرة** : والمنطقة التى يقيمون بها شمال بير العبد فى نهاية أرض السواركة ، وتقدم أنهم من عرب مطير ، وقديما كانوا يعيشون مع جيرانهم البدو مقابل جعل مادى حتى حررتهم الحكومة منه .

(حـ) **السماعنة** : وهى فى المنطقة جنوب بير قطية .

(د) **العقايلة** : وتسكن فى المنطقة شمال شرق بير النصف حتى سبخة قطية .

(هـ) **الأخارسة** : (التفارسة) وهم أسرة واحدة ليس لهم فروع فى المنطقة من رمانة غربا إلى بالوظة شرقا وهناك بعض منهم فى منطقة القلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(و) **الملاعبة** : ويسكنون المنطقة المحصورة بين الأخارسة والعقايلة .

(ز) **المساعيد** : تقدم أنهم والنحبوات من أصل واحد ، وهم أقوى قبائل شمالى سيناء بعد السواركة ، وتمتد أرضهم من بالوظة شرقا حتى القنطرة شرق غربا .

(ح) **العيايدة** : وتمتد المنطقة التى يسكنونها من حوض أبو سمارة شمالا حتى جنوب جبل أم خشيب جنوبا .

(ط) **بلىّ البررة** : ويسكنون المنطقة المحصورة بين مصفق وبين بير العبد شمالا وتل الرويسات جنوبا .

العبيد السود سكان سيناء :

كان من عادة العرب قبل منع الرق اقتناء العبيد لمساعدتهم فى الرعى ، وحرث الأرض ، وتناسل هؤلاء العبيد . . وعند تحررهم كان هناك عدد كبير منهم فى سيناء ، وهم يعيشون الآن على نفس الأعمال التى كانوا يقومون بها من قبل والعرب لايزوجونهم ولايتزوجون منهم .

الهتيم :

قبائل شتى مستضعفة لاطاقة لها لضعف كيانها وتعيش فى حمى القبائل القوية مقابل جعل معلوم يسمى (الخاوة) وهم كالسود (بالنسبة للزواج من العرب) وإذا غنمت قبيلة من أخرى فى الحرب مالا لإحدى قبائل هتيم ردته إليها بلا تردد . . وأشهر هذه القبائل هى : الشرارات ومطير والعرينات والملالحة .

(ا) **الشرارات** : خبراء فى البادية ، فهم من أعرف أهلها بالطرق والمفاوز والقفار حتى إن البدو أنفسهم يتخذون منهم الأدلة فى أسفارهم البعيدة ، ولهم مهارة عجيبة فى الاستدلال على الطريق حتى إنهم قد يُعَيِّنون موقع مخيم من العرب بمجرد تغيير درجة حرارة الهواء التى تسببه نار المخيم . والشرارات أقوى قبائل الهتيم وأكثرها عددا وهم يقتنون الإبل ولهم ولع بالصيد .

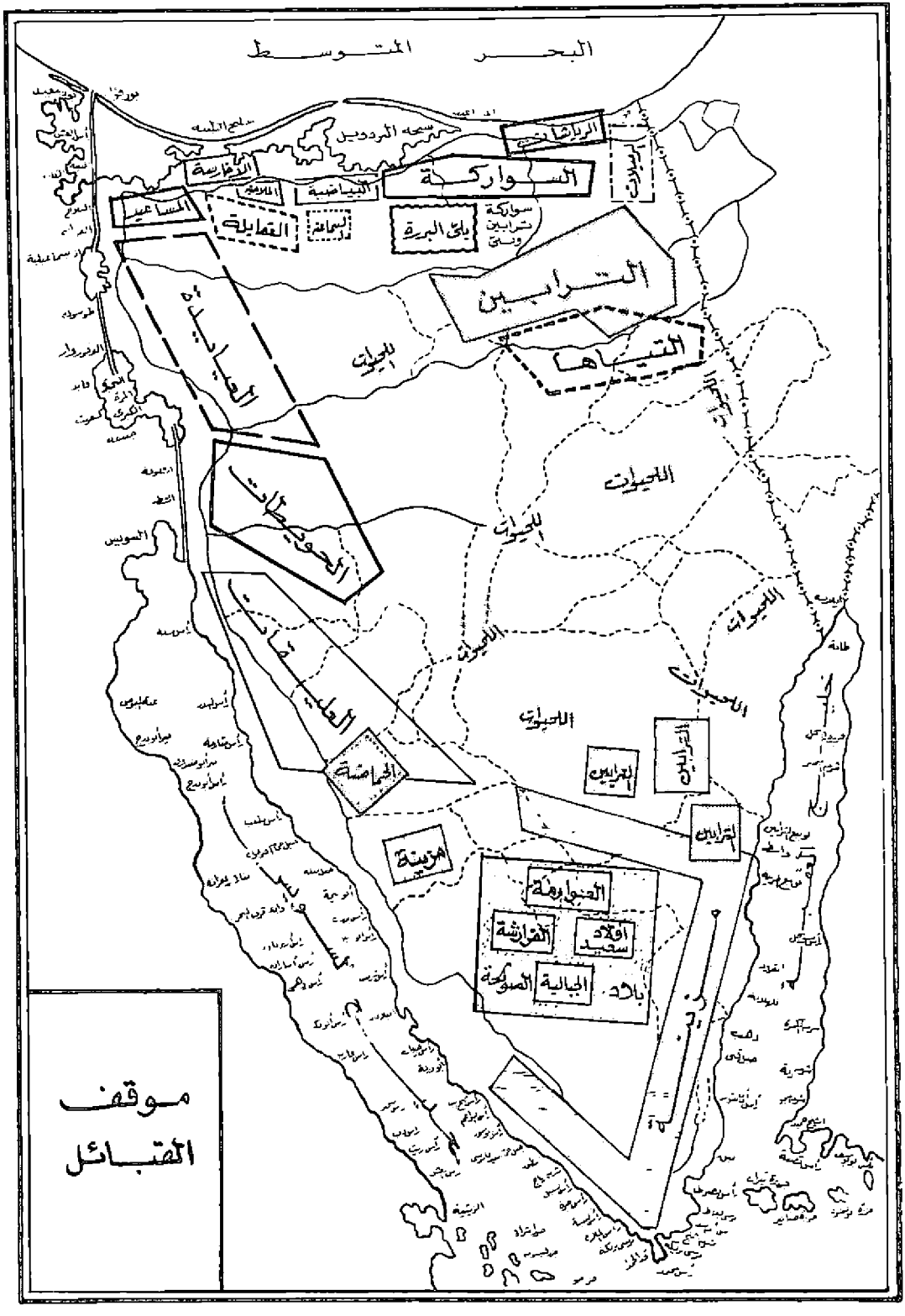
البحر المتوسط
السواركة
التيارات
الرياشات
الزغارسة
اللافي
البياضية
المساعيد
القعايد
النعامة
بالي البرة
سواركة ترابين وبني
الترابين
التيباها
العمايدة
للحيوات
الحيوات
الصوعيطات
العليقات
الحماصنة
العرايين
المزينة
العنبارية
الفرازشة
أولاد سعيد
البالية
بلاد الصوعية
موقف القبائل

(ب) **مطير** : ومنهم الدواغرة من سكان شمالى سيناء .

(جـ) **العرينات** : ويسكنون جبل الحلال مع التياها (البُنيات) ، ومنهم جماعة على شاطئ البحر المتوسط يعملون بصيد الأسماك .

(د) **الملاحة** : يسكنون العجرة مع التراين والسواركة وهم أحقر قبائل هتيم وفى روايات البدو عن هتيم أنه لما أعاد مسعود بن هانئ بناء الكعبة تأخر عرب هتيم عن الاشتراك فى بنائها فبناها بقبيلته وألزم هتيم بالخاوة وقال لقبيلته (لك هتيم بمالك تشتريه ودون رقبتك تؤديه) ، ولايبعد أن يكون هتيم من سكان جزيرة العرب الأصليين الذين غلبوا على أمرهم ، ولم يمكنهم المحافظة على كرامتهم بين العربان فهاجروا إلى سيناء .

(هـ) **الصليب** : وفى حكم هتيم بدو يعرفون بالصليب يسكنون غالبا برية الشام ، ولايأتون سيناء إلا نادرا وصناعتهم عمل الفؤوس والأخراج والمخالى ، ويقتنون الحمير فقط وهم محتقرون كبدو هتيم .

ويظن بعض المحققين أنهم من بقايا الصليبيين بدليل اسمهم ومسكنهم وطول شعرهم وبياض لونهم وزرق عيونهم .

النَّور : (الغجر) ويجوب جزيرة سيناء النَّور للشحاذة ورؤية البخت وعمل المناخل والرقص فى الأفراح وهم أحط أنواع البدو .

عادات وتقاليد قبائل سيناء

مقدمة :

للبدو أوصاف أهمها الرشاقة وخفة الحركة وسمرة اللون ولقد اشتهروا بحب الضيافة والكرم والغزو والنجدة والأخذ بالثأر ومراعاة الجار وتعظيم الجميل وتكريم الإبل واحترام العرض والوفاء بالعهد والافتخار بالنسب والشجاعة وعلو الهمة وبذل المعروف والأنفة وعزة النفس وعدم احتمال الضيم (الظلم) وكره التقيد بنظام والجرأة فى طلب الحق والأريحية (المروءة) وحب المساواة والحرية والشورى .

وترى أثر هذه الأخلاق كلها فى بدو سيناء ، لكن ضعف حالهم وقلة عددهم أفقدهم رونق هذه الأخلاق ، فلاتراها رائعة متأصلة فيهم كما فى بدو مصر والشام ، وبدو وسط سيناء أعرق فى البداوة من بدو جنوبى سيناء وشمالها لكنهم ليسوا أكرم أخلاقا ولا أطيب عرقا منهم .

عاداتهم :

يسكن البدو فى خيام من الشعر . تحوكها النساء ، ويبنونها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها إلى

الشرق ، وللخيمة المستوفاة تسعة أعمدة : ثلاثة فى الوسط وثلاثة فى كل من الجانبين . . وتنقسم الخيمة إلى قسمين : قسم للنساء وقسم للرجال ، وسكنى الخيام مقصورة على فصل الشتاء والربيع اتقاء للبرد والمطر ، أما فى الصيف فيبنون لأنفسهم أكواخا من القش وأغصان الشجر لاتقاء الحر والرياح ، وتدعى العرائش وتؤثث هذه الخيام والعرائش بالمنسف (طبق مستدير واسع من الخشب) يقدم عليه الطعام للضيوف والباطية (منسف صغير لاستعمال رب الأسرة) والكرمية (أو الزلفة وهى أصغر من الباطية وتستعمل لعجن الدقيق وتقديم الطعام) والهنابة (أصغر من الكرمية وأعمق جوفا منها ، وتستعمل استعمال الكرمية (والقدح) وهو آنية من خشب فى شكل مربع مستطيل وله يد وفم ويستعمل لحلب الإبل وشرب الماء ، (وحجارة الرحى) التى تستعمل لطحن الدقيق و (الغرابيل) لغربلة الحبوب (والصاجات) للخبز والحلل النحاسية للطبخ ويشترونها بلا أغطية وعدة القهوة المؤلفة من المحماصة والهون والبكرج (إبريق كبير من النحاس) لإغلاء القهوة والفناجيل والصينية ، والأغطية ينسجونها من الوبر أو الصوف ويستعملونها كالألحفة .

الغفور : (مفردها غفرة) وينسجونها من الصوف المصبوغ بالأحمر أو الأخضر ويستعملونها أغطية أو يطوونها لاستعمالها كوسائد .

الفرش : (ومفردها فراش) ويستعملونها كالبسط والسجاد .

الغرائز : (مفردها غرارة) وهى أكياس من الوبر أو الصوف أو الشعر لحفظ الحبوب وحملها .

الأخراج : وهى أهم أثاثهم ولابد لهم منها فى أسفارهم يصنعونها من الصوف الأبيض والملون ، ويصنعون لها شراريب .

المزاود : تشبه فردة الخرج وتصنع مما يصنع منه الخرج ، وتستخدم فى السفر لحمل الدقيق .

المخالى : (للخيل) تصنع من الصوف أو الوبر .

وكل هذه الأنسجة الصوفية تحاك عندهم على أنوال بسيطة .

والقرب : وهى آنية الماء المشهورة وتصنع من جلود الماعز وفى منطقة شرق العريش يستخدمون أجرار الفخار السود بدل القرب .

المجارب : (جمع مجرابة) وهى أكياس للدخان تصنع من جلود الغزلان أو الماعز .

الفلايين : لشرب الدخان وغودها يصنع من شجر الأثل أو شجر الكرز وحجرها يستخرج من حبل كثيفة بجوار جبل يطق أو من جبل العرف شرق العقبة .

طعامهم .

يعتمد البدو فى طعامهم على الشعير والقمح والذرة والأرز والعدس والملح ، وهم يستخدمون الرحى فى طحن الحبوب وينتجونها فى الباطية ويجبرونه فتيرا أو أرغفة على الصاج ويخزونه أقراصا

على الحجر لاستخدامه فى السفر ويدعى قرص الملة . ويأكلون خبزهم بلا آدام أو بآدام من قمر الدين أو اللبن الحليب أو السمن أو الزيت أو الكشك أو اللحم أو السمك ، وللبدو فى مخيماتهم أطعمة بسيطة ومتشابهة طبخا قوام أكثرها الحليب والسمن والدقيق والخبز وأشهرها الجريشة : (يجرشون القمح بحجر الرحى حتى يصير برغلا خشنا ويسخنونه جيدا ، ثم يسكبونه فى قصاع ويصبون عليه اللبن أوالسمن أو الزيت) .

العصيدة : يغلون الماء فى حلة ويصبون عليه الدقيق شيئا فشيئا وهم يحركونه حتى يكون له قوام فيصبوه فى القصاع ويأكلوه أويغلون اللبن الحليب بدلا من الماء وعندئذ يسمى التلبانة .

المطبوخة : يضعون فتات قرص الملة فى الحليب ويغلونها فى حلة حتى تنضج ، ويأكلونها عندئذ بأدام من السمن الحار أوبلا آدام وعلى نحو ذلك البازينه وأم جلة والفطيرة والمردودة .

الدفينة : وهى فتة من الخبز أو مسلوق الأرز بمرق اللحم .

وأكثر أكل البدو القرص والعصيدة والجريشة ومن الأطعمة الأخرى لأهالى حضر سيناء الكشرى والمفروكة والشوية (طريقة حسنة فى شواء الضأن أو الماعز) إذ يبنون **فربا** من الحجارة على هيئة كوخ صغير له باب ويوقدون فيه الحطب حتى يصير جمرا ويذبحون جدى الضأن أو الماعز ويسلخون جلده ثم يبقرون بطنه ويستخدمون منه الأمعاء والكرش ثم ينظفون الكرش ويلفون به الذبيحة ويضعونه فى الذرب ويطمرونها بالجمر ، ثم يسدون الباب ويتركونها نحو ساعة ويخرجونه فاذا هو شواء لذيذ .

والبدو يستخدمون الملح وإن كانوا لايستخدمون البهارات وأكلهم للخضر والفاكهة قليل ، وكذلك اللحم والسمك ، وفى أيام الربيع ينبت فى صحاريهم كثير من الأعشاب التى يأكلونها ، وهم يأخذون أغصان الزقوح والعليجان والربيان والشيح والجرجير والقريص والزعتر وينشفونها ويطحنونها **ويمزجونها** ويغمسون قرص الملة بها ويأكلونها (كالدُقَة) ويشربون الماء واللبن (الإبل والضأن والماعز) ولايعرفون المشروبات المسكرة ، كما أنهم مولعون بالقهوة ، وأكثر ولعهم بالدخان ، وللبدو صبر على الجوع والعطش وإذا جاع أحدهم ولم يجد طعاما شد حجراً مستطيلا على معدته واكتفى بأكل العشب .

سلامهم ومجالسهم :

إذا التقى بدوى وبدوية من أقاربه حنى لها رأسه تقبله فى جبينه وتصافحه ، وإذا دخل بدوى على صديق له فى مجلس وقف له وصافحه ثم أدنى رأسه من رأسه حتى يمس حاجبه الأيمن حاجب صديقه الأيمن ، ويشرع يقبله فى الهواء ثم يجلسان على الأرض ويدور بينهما الكلام .

وإذا اجتمع البدو فى مجلس جلسوا متربعين على الأرض أو الفرش وقد يجلسون ركعا على الركب أو على ركبة واحدة . أما النساء فلا يجلسن فى مجالس الرجال ولايعقدن مجلساً بينهن كالرجال ، وزيارة البدوية لجارتها قصيرة . وإذا مرت امرأة راكبة على مجلس من الرجال ترجلت .

حياتهم اليومية :

يبدأ البدوى يومه مبكراً بتناول الإفطار قبل أو عند طلوع الشمس ، بعدها يتوجه الفتيان والفتيات لرعى الابل والاغنام وتقوم النساء بإعداد الغداء ، ويجتمع باقى الرجال فى المخيم ، وتصنع القهوة من خضات البن التى يحضرها كل منهم ، ويدور حديثهم حول الشئون الخاصة ، ولايعرفون من الألعاب سوى السيجة . وبعد الغذاء قد ينامون ، وعندما يستيقظون يعودون إلى شرب القهوة وإلى المجلس والحديث واللعب وخاصة الفروسية حتى تعود الإبل والأغنام من مراعيها ، .ويعود كل منهم إلى خيمته لتناول العشاء ، بعدها تبدأ فترة السمر والغناء ، ولايعرفون من الآلات الموسيقية سوى الربابة والشبابة والمقرون (الناى والأرغول) ، وإذا كان أهل المخيم يتناولون ثلاث وجبات فإن الرعاة يأكلون وجبتين : الإفطار قبل توجههم إلى المرعى والعشاء بعد عودتهم .

ويتغير الموقف عندما يهطل المطر فى الشتاء وترتوى الأودية فيهتمون بالزرع ويبقون حتى فترة الحصاد أو جمع ثمار النخل . وإذا عزم البدوى على السفر أعد الجمل والماء والدقيق والدخان والقهوة وإذا نزل فى مكان عقل جمله أو تركه يرعى ، ثم أوقد النار ليدخن ويشرب القهوة وكذا لتناول الطعام الذى يعده بنفسه لنفسه .

كما يمارس البدو الصيد فيصيدون التيتل والغزال والأرانب من أجل اللحوم والجلد ، ويصيدون الطيور وخاصة السمان ، وقلة من البدو المقيمين على الشواطئ يعرفون صيد الأسماك .

وللبدو مهارة كبيرة فى قص الأثر ، وهم يعنون بتربية الإبل والخيل والغنم ، ويتجرون فى الذكور منها كما يتجرون بالفيروز وحجارة الرحى والمن ويجمعونه من شجر الطرفا والعجوة والسمار الذى يجمعونه من حول العيون والمستنقعات والحنظل ، ويعرف البدو صناعة غزل الصوف والحياكة والصباغة والخياطة والتطريز وتقوم النساء بهذه الأعمال ، كما يعرفون صناعة البارود والفحم والبناء والنجارة وإصلاح السلاح ، وإذا كان البدو يمارسون الزراعة فى أعقاب مواسم المطر فإن الآلات التى يعتمدون عليها هى المحراث وإن كان أقصر وأصغر مما نعرفه فى ريف مصر ، وكذلك النورج وإن كان أغلبهم يدرسون القمح والشعير بالإبل ، ويخزنون الحبوب فى المطامير (وهى حفر فى الأرض تتسع كلما اتجهنا إلى أسفل) ويجعلون أكياس التبن بجانب فم المطمورة ، للدلالة عليها . ويخزنون التبن والمحاريث والخيام فى أكواخ أو دوائر من الحجر الغشيم والطين تدعى قرى ، أو يخزنونها فى حفرة مربعة تحت الأرض يسقفونها بأغصان الشجر والتراب تدعى كمور .

وكل قطعة أرض صالحة للزراعة لها مالك بوضع اليد أو بالوراثة رغم أن جميع الأراضى مملوكة للحكومة ، وللبدو حق الانتفاع بها ويبيع العربان بعضهم لبعض هذا الحق .

أفراحهم :

بدو سيناء كسائر البدو يفضلون الزواج المبكر والزواج بين الأقارب ، وإذا بلغ الرجل تخير واحدة من بنات عمه أو بنات قبيلته . والرجل يخطب البنت من أبيها أو وليها رأسا دون واسطة ، وأما البنت فلا يؤخذ رأيها فى خاطبها إذا كانت بكراً ، وإذا كانت ثيبا فلابد من سؤالها ورضاها بمن يتقدم لها ، والمهر عندهم لبنت العم من جمل إلى خمسة ، ولـلأجنبية من خمسة إلى عشرين ، وإذا رضى والد البنت أو وليها بالخاطب ناوله غصنا أخضر وقال له : (هذه قصلة فلانة بسنة الله ورسوله وإثمها وخطيتها فى رقبتك من الجوع والعرى ومن أى شىء نفسها فيه ، وأنت تقدر عليه) وعندما يتناول الخاطب القصلة يقول للوالد أو للولى : (قبلتها زوجة لى بسنة الله ورسوله) بعدها يتم إعداد خيمة للعريس تدعى (البرزة) ليزف فيها إلى عروسه ، وتدخل مع العروس أقرب قريباتها أما سائر النساء فيجلسن خارج البرزة مع الرجال ويقوم أهل العريس بنحر الذبائح من الغنم لأهل الفرح عند باب البرزة ويطهون الأطعمة المحبوبة ، ويلعبون الدحة والسامر إلى مابعد منتصف الليل ويقدم أقارب العروس (العريس) له الهدايا من الغنم والقمح والنقود على سبيل النقوط ، وهذا دين عليه الوفاء به . . وفى أثناء اللعب تخرج النساء من البرزة ليدخل إليها العريس ويمكث فيها مع عروسه من يوم إلى ثلاثة أيام ، والعادة عندهم أن العروس تفر من البرزة قبل مضى ثلاثة أيام ويتبعها الزوج ليقيم معها فى الحلاء بعيداً عن مخيم قومه لفترة تمتد من أسبوع إلى شهر ، خلالها يرسل له الأهل الطعام حتى يتم إعداد خيمة له بجانب خيامهم ويكون هذا منزله الجديد .

الخيـــل

١ – القبائل التى تقتنى الخيل :

لا يقتنيها من بدو سيناء إلاّ قبيلة الرميلات وبعض قبيلة السواركة القاطنون شرقى بلاد العريش ، وقد ندر فى الرميلات من ليس له فرس أو فرسان ويقتنيها أيضاً (تراين) سيناء ويحافظون عليها أشد المحافظة .

٢ – أشهر الأصول الكريمة عندهم :

المخلدية والكبيشة والعبية

أما المخلدية فيقال : إنها من أصل فرس خالد بن الوليد ، ولذلك هى أشهر الأصول عندهم : والكبيشة ولها فى أصلها رواية خرافية قالوا : خرج من البحر جان فعلاً فرساً للرميلات فأنجبت الكبيشة !

والعبيبة : قالوا فى سبب تسميتها : إن فارساً بدوياً فى القديم فر من وجه أعدائه فطاردوه أميالاً فنجا منهم بسرعة ، وكان للفرس مهرة تتبعها ، فظن الفارس أنها تخلفت عن أمها ، وصارت فى حرز الأعداء فلما صار فى أمان منهم التفت وراءه فإذا بالمهرة بجانب أمها تسترها عباءته فسماها العبيبة .

٣ – تجارة الخيل وقواعدها :

وهم يبيعون الذكور ونادراً ما يبيعون الإناث ، وإذا اضطرتهم الأحوال إلى بيع الإناث باعوها بالنصف : أى يقاسمون النتاج ، ويكون تسليم المشترى للمهرة من البائع بعد الفطام ، ومدة الرضاعة عندهم مائة ليلة فإذا ماتت المهرة فى الأيام العشرة الأولى كانت على البائع ، وإذا ماتت بعدها كانت على المشترى ، والبدو فى صحرائهم يفضلون ركوب الحجين على ركوب الخيل ، لأنها أصبر على العطش والحر وأكثر راحة فى الركوب ، ولكنهم يتفاخرون بركوب الخيل ويعدون ركوبها أشرف .

٤ – سباق الخيـل :

وهم يتسابقون على الخيول والإبل فى الأعياد والأفراح وزيارة أولياء الله واستقبال الضيوف ، وأهم سباق الخيل فى أيام عيد الأضحى وفى ختان الأولاد .

سباق عيد الأضحى :

يجتمع البدو رجالاً ونساءً فى ميدان متسع يصلح للسباق ، فتقف النساء فى جانب منه وفى يد إحداهن منديل أحمر مرفوع على عصا فى شكل راية ، ويقف الفرسان فى الجانب الآخر من الميدان ، ويقف الرجال المتفرجون فى صف النساء على بعد نحو كيلومترين منهن ، وعندما يرى الفرسان أن الراية قد ارتفعت فى صف النساء يطلقون الأعنة لخيولهم ، فمن فاز بالراية أولاً كان السابق فإذا طارده أحد أقرانه وأخذها منه كان هو الفائز الأول .

سباق الختـان :

سباق الختان يجرى على مثال سباق عيد الأضحى إلا أنهم يرفعون قفطاناً من الحرير أو الأطلس كراية بدلاً من المنديل الأحمر ، وترفع الراية المذكورة امرأة راكبة جملاً .

تقاليدهم الأسرية :

لا تأكل المرأة مع زوجها على مائدة واحدة حياءً ولا تناديه باسمه ، بل باسم ولده البكر ذكراً كان أم أنثى أو باسم أبيه ، وتحلف المرأة برأس أبيها لا برأس زوجها وبذراع ولدها ، والبدو يفرحون للذكر

ويتكدرون للأنثى ، وليس عندهم مولدات ، فالمرأة تولد نفسها أو تستعين بأقرب قريباتها ، وإذا وضعت البدوية فى الطريق تلف المولود وتستمر فى السير حتى تصل إلى أهلها ، ويختنون أولادهم ذكوراً وإناثاً : البنات من سن الثامنة إلى العاشرة والأولاد من السادسة إلى الثانية عشرة ، والاحتفال بختان الصبى أعظم من الاحتفال بالزواج ، وغالباً ما يحتفل بختان جماعة من الصبية فى وقت واحد .

روابط القبائل :

بدو سيناء كسائر البدو يعنون بحفظ أنسابهم ويتفاخرون بها ويبالغون فى استقصائها حتى يردوها إلى الآباء الأولين ، ومن الآباء والإخوة والأعمام تتألف الأسرة ومن الأسرة تكون الفصيلة ، ومن الفصائل يتألف الفخذ ، ومن الأفخاذ يكون البطن ، ومن البطون تتألف العمارة ومن العمائر تتكون القبيلة . . والقبائل تتعصب بعضها لبعض على حسب ارتباطها فى العصبية ، ولكل قبيلة من قبائل البدو سمة خاصة تَسِمُ بها إبلها وحميرها وغنمها فى الرقبة أو الرأس أو الصلب ، أما الخيل والبقر فتترك بلا وسم .

ولكل قبيلة منطقة محدودة معروفة بعلامات طبيعية بارزة ، وفى الجهات التى ليس بها علامات يضعون رجوماً من الحجارة للدلالة على الحدود كما أن لكل قبيلة مراعٍ ومياها وأراضى زراعية معروفة ، أما المراعى والمياه فشاع لجميع القبائل لا تمنع قبيلة أخرى عن مراعيها ومياهها إلا فى زمن الحرب بعكس الأراضى الزراعية فهى ملك لأفراد القبائل لا يتعرض أحد لها ولا يزرعها إلا بإذنه .

وإذا اكتشف أحدهم ماء لم يكن معروفاً أو احتفره فى مكان لم يكن فيه من قبل أصبح الماء ملكاً له ، وأقام بجانبه رجماً ووسمه بوسمه ، وإن كان بقرب الماء أرض صالحة للزراعة استولى عليها وزرعها بنفسه ، هذا إذا كان الماء فى أرض قبيلته ، أما إذا كان فى أرض أجنبية فيحق له الانتفاع به كغيره من أبناء القبيلة التى وجد الماء فى أرضها ولم يكن له حق فى الأرض التى حوله .

وكل قبيلة من قبائل سيناء مرتبطة بسائر القبائل بحلف أو معاهدة سلمية تسمى (القلد) ولها أيضاً حسيب يحفظ العهود مع القبائل ، ويعرف بالعقيد ، أو بنقال الأقلاد أو نقال العلوم ، والمعروف أن حلفاً قديماً بين الحويطات واللحيوات والطورة (سكان جنوبى سيناء) ، وبين كل من هذه القبائل والتياها (قلد) وبين التياها والتراين حلف ، وبين البياضين والسماعنة حلف ، والقبائل التى يربطها القلد لا ترفع خصوماتها إلى الزيادى (القاضى) ، بل إلى الحسيب ، أما القبائل التى يربطها الحلف فترفع خصوماتها إلى الزيادى بعد رفعها إلى الحسيب . . وإذا أراد قليد نقض العهد مع قليده لأى سبب من الأسباب بعث له برسول من قبيلة ثالثة على هجين له ليقول : « جايب لك النقاض من فلان وهذا حد العهد بينك وبينه والعرض من العرض أبيض ، أى أنه حذره ولم يغدر به ومعك ثلاثون يوماً تلم بها أطرافك وبعد هذا الميعاد حرب » وقد يطلب فريق من الفريقين المتقاتلين هدنة تعرف عندهم (بالعطوة) فيعقدانها ثم يعودان إلى الحرب ، ومدة الهدنة عندهم من ثلاثة أيام إلى سنة وشهرين ،

ومن خان رفيقه فى أثناء العطوة اقتص منه ضعفين .

ومتى أرادت القبيلتان الصلح اجتمع الحسيبان وكبار القبيلتين وهدروا كل دم لم يعلم قاتله ، وأما الرجل المعروف قاتله فله الدية والمال المنهوب لا يرد ، ثم يعقد الصلح بحلف أو قلد وقد تضعف قبيلة أصيلة فى حرب مع قبيلة أخرى فتنضم إلى قبيلة ثالثة بالأخوة للمحافظة على كيانها ، فيجتمع شيخ القبيلة اللاجئة وشيخ القبيلة التى يلتجئ إليها فى مجلس خاص ويقول له : (أنا طالع معك وأخوك من كتاب الله العزيز دمى يسد عن دمك ومالى يسد عن مالك ورجالى تسد عن رجالك وابنى يسد محل ابنك وبنتى تسد محل بنتك أطرد مطردك وأشرد مشردك وفى الخير أخوان وعلى الشر أعوان عهد الله بيننا القلب صاف هل قبلتنى ؟ فيرد الآخر قبلتك على الرحب والسعة) .

فتصبح القبيلتان من ذلك الحين كأنهما قبيلة واحدة ، ويعرف ذلك عندهم (بالطلوع) ، وإذا جار شيخ قبيلة على جماعة من رجال قبيلته وأحس هؤلاء القدرة على مقاومته قاوموه وإلا « أطنبوا على شيخ قبيلة أخرى بأن ينصبوا خيامهم فى حذاء مخيمه ، ويطلبوا إليه أن ينصفهم من شيخهم ، وفى الغالب يرحب بهم ، ويذبح لهم الذبائح ، ثم يذهب معهم إلى شيخهم ويصلحهم ويعرف ذلك عندهم (بالطنب) .

ومما اعتاده أهل البادية (الوثاقة) وهى رهائن من الإبل تؤخذ خلسة للحصول على حق ممطول وإذا فعل رجل مع رجل آخر جميلاً بأن أنقذه من خطر وانتشله من فقر نصب له الآخر (رجماً) على درب جهير أو ماء شهير ووضع عليه اسم قبيلته إشهاراً لجميله .

والرجم حجر أبيض أو مجموع من الحجارة البيضاء ، وإذا عاب بعضهم شخصاً حكم المنشد (القاضى) عليه بإقامة رجم للمعتدى رداً لشرفه ، وإذا ثقل عليه إقامة الرجم افتداه بجميل ، وإذا وقعت واقعة تستحق الذكر أقاموا فى مكان الواقعة رجماً من الحجارة تخليداً لها .

ولهم أيضاً عادة أخرى يطلق عليها (التبييض والتسويد) والتبييض نصب راية بيضاء بدلاً من الرجم وعكسه التسويد ، وهو نصب راية سوداء تشهيراً بقبح ، وقد يستنجد رجل أو قبيلة بآخر مهيباً ووجيها لمنع شر وخصومة ، فإذا هب رجلان أو قبيلتان للقتال وقال أحد الحضور (رميت وجهى أو وجه فلان بينكما) كف الفريقان عن القتال فى الحال ، فللوجه حرمة عظيمة ، وإذا استمر القتال بعد رمى الوجه قال صاحب الوجه (فلان قطع وجهى) ودعاه إلى المنشد ، فإذا أبى أشهد عليه أربعة شهود وشرع فى أخذ الوثاقة من إبله حتى يذعن للمنشد (القاضى) ، ولابد للمنشد من الحكم عليه من جملين إلى أربعين جملاً حسب درجة الوجيه المقطوع الوجه ونصب رجم أو التعويض عن نصب الرجم بجميل ، وقد يحكم المنشد عليه بقطع قيراطين من لسانه فيفتدى ذلك بعدد من الإبل .

وإذا كان قاطع الوجه المحكوم عليه بالغرامة فقيراً قام بما استطاع القيام به (وساق الجاهة) بما بقى من الغرامة على صاحب الوجه ، فيأخذ نساءه ونساء جيرانه وذبيحه ، وكيس دقيق وشيئاً من البن .

ويأتى مخيم صاحب الوجه وينصب خيمته بجانبه ، ثم يولم وليمة ويدعو إليها صاحب الوجه ويسترحمه للنزول عما بقى فينزل كرماً وشهامة ، وإذا أبى عد بخيلاً عديم المروءة . والبدوى لا ينسى السيئة ولا الحسنة ، ويحفظ الجميل ويورثه أبناءه من بعده .

الأمراض والعلاج :

رأس الدواء عند البدو الكى ، وهم يستعملونه لآلام الرأس والمعدة والظهر وسائر الأمراض الباطنية ، وعندهم مجموعة كبيرة من الأعشاب الطبية يداوون بها مرضاهم ، ويغلون البصل ويصفونه ويغسلون به الجروح ، ويسقون منه المريض لمنع تعفن الجرح ، كما يغلون المر بالسمن ويجعلونه دهاناً للجروح ، طوال أربعين يوماً . . وجرت عادة النساء أن يحرقن صغار العقارب ويصحنها فى « هون » ويرششن منها على حلمات أثديتهن عند إرضاع أطفالهن تطعيماً لهم حتى لا يؤذيهم لسع العقارب .

القضاء والمحاكم :

القضاء فى شبه الجزيرة موكول إلى قضاة من خواص الرجال يحكمون بين البدو بالعرف والعادة ، وينقسمون إلى كبار العرب والمنشد والقصاص والعقبى والزيادى والضريبى والمبشع .

كبار العرب :

وهم بمثابة رجال الصلح ترفع إليهم جميع المسائل الهامة التى لا يمكن حلها إلا بالصلح ، إما لعدم توافر الشهود فيها أو لجسامة ما ينجم عنها من الأضرار والأخطار كقضايا القتل والسلم والحرب والتعدى على العرض والمال ، وينتخبون من بين المشايخ الذين بيدهم زمام الأمور .

المنشـــــد :

ويعرف بالمسعودى لأن أهم قضاته من قبيلة المساعيد ، ويختص بالمسائل الشخصية الخطيرة ، كقطع الوجه ومَسِّ الشرف والإهانة الشخصية .

القصـــــاص :

قاضى العقوبات أو قاضى الجروح يحدد الجزاء الذى يستحقه كل جرح على حسب طول الجرح وعرضه وموضعه ، وأكثر القصاصين فى نخل من السلالة الحويطات وفى شمالى سيناء من على بلىّ ، وفى جنوبى سيناء من القرارشة ومزينة .

العقبى :

قاضى النساء يختص بالمسائل المتعلقة بهن من طلاق ومهر ، وتعدٍّ على العرض ، وسمى بالعقبى لأن أكثر هذا النوع من بنى عقبة .

الزيادى :

قاضى الإبل ينظر أمور سرقتها ووثائقها وكل ما يتعلق بها .

الضربى :

بمثابة قاضى الإحالة فإذا اختلف اثنان فى القاضى الذى يحكم بينهما رفع الأمر إلى الضربى ليُعيِّن القاضى المختص بالفصل فى النزاع والضربى يختار فى الغالب من الحويطات .

المبشـــع :

قاضى الجرائم المنكورة (التى ينكر فاعلوها ارتكابهم لها) والتى لا شهود عليها ، ويتولى اختبار المتهم بالنار أو الماء أو الرؤيا .

والاختبار بالنار يتم بتسخين إناء من النحاس على النار حتى درجة الاحمرار ، ثم يأمر المتهم بغسل لسانه بالماء أمام شاهديه ، بعدها يتناول الطاس المحماة من المبشع ليلحسها ثلاث مرات بلسانه ثم يغسله بالماء ويريه للمبشع والشاهدين ، فإذا رأوا أثر النار على لسانه حكم المبشع بالدعوى للخصم ، ولا حكم له .

أما الاختبار بالماء فيتم بإحضار إبريق من النحاس تلتف حوله حلقة تضم المتهم ، ثم يشرع المبشع فى التعزيم على الإناء فإن تحرك الإناء ووقف أمام المتهم كان المتهم مجرماً ، وإن وقف أمام المبشع كان بريئاً . .

والاختبار بالرؤيا يتم عندما يفكر المبشع فى المتهم وينام فإن ظهر له الحلم حكم عليه .

ويدخل فى حكم القضاء عندهم المسوق وأهل القطاعات وأهل العرائش وقصاصو الأثر ولحاسة الختوم والحسباء أو نقالة العلوم :

المســـوق :

الخبير بالإبل وأسنانها وتسلم على يده غرامات الإبل .

أهل القطاعات :

آل الخبرة بالزرع والأراضى الزراعية ، ويختصون بالقضايا التى تتعلق بها .

أهل العرائش :

آل الخبرة بالنخيل وهم الفصل فى قضاياها .

لحاسة الختوم :

المشايخ المعينون من قبل الحكومة وهم القضاء فى المسائل التى تتعلق بالحكومة ورجالها وسُموا لحاسة الختوم ؛ لأن من عادتهم لحس أختامهم عند ختم صكوك رواتبهم .

الحسباء أو نقالة العلوم :

آل الخبرة فى المسائل التى تتعلق بتقاليد العرب والعهود المقررة بينهم ، فإذا نقض أحدهم عهداً لقبيلة عدَّ أنه قطع وجه الحسيب لتلك القبيلة ، ووجب على الحسيب المطالبة بالحق الضائع ورده إلى صاحبه ودرجات التقاضى عندهم ثلاث لكل درجة قاض :

الأول منهم بمنزلة المحكمة الابتدائية

والثانية بمنزلة محكمة الاستئناف

والثالثة بمنزلة محكمة النقض

وإذا توافق حكم القاضى الثانى والقاضى الأول عد الحكم نهائياً ، ولا ترفع الدعوى إلى الثالث وكل القضاء ثلاثة إلا المبشع فإنه واحد .

الشهـادة :

يكفى عندهم شاهد واحد لإثبات الدعوى ، ويشترط فيه أن يكون (التقى النقى اللى تدور على عيبه ما تلتقى) . ولا تقبل شهادة رجل أتى أمراً منكراً أو فر من القتال أو ترك نجدة رفيقه ، ولكن تقبل شهادة اللص على اللص وشهادة المرأة ، والولد البالغ كشهادة الرجل ، وللشاهد أجره ينقده إياه الطالب قبل تأدية الشهادة ، ويحلف الشاهد اليمين قبل تأديته لها واليمين عندهم أنواع :

١ – الخطة والدين :

وهى دائرة ترسم على الأرض برأس السيف ، ويرسم فى وسطها صليب ، ويقف الشاهد فى مركز

الدائرة ووجهه إلى الكعبة ، ويحلف بست كلمات أولها : الله وآخرها الله ، ثم ينطق بالشهادة ، وهذا الحلف خاص بقضايا الإبل والقضايا الهامة .

٢ – الحلف بالرأس :

يضع المدعى يده على رأس المدعى عليه ويحلفه بثلاث كلمات أولها الله وآخرها الله ، ثم يسأله أن يقول الحق .

٣ – الحلف بالحزام :

يضع المدعى يده فى حزام المدعى عليه وكما سبق فى الحلف بالرأس .

٤ – الحلف بالعود :

وهو عند القصاص يأخذ الشاهد عوداً فى يده ويقول : (وحياة هذا العود والرب المعبود ومن أخضره وأيبسه رأيت كذا) . وإذا مثل المدعيان أمام القاضى جعل كل منهما عنده رهناً كرسم الدعوى المعروف بالرزقة أو يسمى كفيلاً يضمن وفاءها ويدفع الرزقة من يخسر الدعوى ، وهى تختلف بحسب أهمية الدعوى وتتراوح بين نعجة وثمانية جمال .

شرائعهم وأحكامهم :

ليس للبدو شريعة مكتوبة ، بل يحكم قضاتهم بالعرف والعادة ، وأهم جرائمهم : القتل والسرقة والشتمة وخطف البنات وحرق زرع غيرهم والاعتداء على أرض غيرهم وردم الآبار وعدم الوفاء بالدين وشن الغارات .

القتـل :

إذا وقعت جريمة قتل فى البادية فأهل القتيل الأقربون من الأب والجد فصاعدا إلى الدرجة الخامسة ومن الابن والأخ وابن الأخ والعم وابن العم فنازلاً إلى الدرجة الخامسة يطاردون القاتل وأهله الأقربين إلى الدرجة الخامسة فصاعدا أو نازلا طلبا للثأر ، فإن فازوا به انتهى الأمر ، أما إذا فاز القاتل وأهله بالجلاء عن بلادهم واحتموا بقبيلة أخرى قبل أن يلحقهم أهل الثأر فيتوسط لهم عقلاء القبيلة التى احتموا بها عند أهل الثأر ، فإن رضوا بالصلح نقلوا لهم (الجيرة) وهى جمل رباع وقدموا (كفيل وفاء) ، وأخذوا منهم (كفيل وفاء) . ومن هذه اللحظة يمتنع أهل القتيل عن مطالبة أهل القاتل ويكون الميعاد بينهم فى بيت رجل مشهور يأتون إليه بالدية وتعرف عندهم (بالمدة) ، وهى أربعون

جملاً وناقة هجينة تعرف بالطلة . . أما إذا كان القاتل والقتيل من قبيلة واحدة فقد وجب على أهل القاتل أن يقدموا فوق الدية المعتادة (غرّة) أى بنتاً بكراً يأخذها أحد أقارب القتيل بلا مهر كزوجة ، وتبقى عنده حتى تلد ولداً ، فيصير لها الخيار بين العودة إلى أهلها مرة أخرى أو تجديد زواجها بعد أخذ مهرها ، ويراد بالغرة إعادة الروابط الأسرية إلى ماكانت عليه قبل القتل ، وإن كانت البكارى يأنفن مثل هذه العادة لما فيها من المعرة لذلك جوزوا فداء الغرة بخمس رباعيات (جمال رباعة) .

ومن قتل غدراً فى مكان منقطع ثم أنكر ثم ثبت عليه القتل عدت فعلته (دليخة) ، وطولب بأربع ديات ، فإذا أخذ أهل القتيل بالثأر ودخل العقلاء بالصلح حكم القصاص على أهل القاتل بثلاث ديات ، فيأخذ أهل القتيل دية واحدة ويتصدقون بالثانية ويسامحون فى الثالثة .

ومن قتل طفلاً عدّ قتله (دليخة) ووجب عليه أربع ديات ، أما من قتل امرأة فقد وجبت عليه ثمان ديات ، وتدفع الدية فى الغالب أقساطاً مؤجلة من قسط إلى أربعة فى مدة من شهر إلى سنة ، وقد تدفع فى بعض الأحيان فوراً ودفعة واحدة ، وهى توزع بين أقارب المقتول المذكور الذين يطالبون بدمه ، ويكفى وجوب الدية ومنع المطالبة بالدم رضاء فرد من أقارب القتيل الأخصاء .

وإذا لم يكن عند القاتل قيمة الدية ولم ترض قبيلته دفع الدية عنه علق الجيرة وأخذ ميعاداً طويلاً من أصحاب الدم وطاف بالقبائل يستعطى الدية حتى يستوفيها .

الثـــأر :

القتل عند العرب فعل ممقوت إلا إذا كان فى سبيل الأخذ بالثأر أو الذود عن العرض والديار فإنه ممدوح ، وطالما افتخر العرب بهذا ، ويسمى القتل فى هاتين الحالتين الأخذ بالثأر ونفى العار ، وتمتد جذور هذه العادة إلى لعصور الجاهلية إذ كان العرب يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرج من رأسه طائر يدعى (الهامة) وحلّق فوق قبره فلا يزال قائلاً اسقونى . . اسقونى حتى يثأر له .

وعندما جاء النبى أبطل هذه العادة وقال «لا طيرة ولا هامة فى الإسلام » ويجوز لأهل القتيل أن ينتقموا لقتيلهم من أى رجل يدخل فى دموية القاتل ولو كان ينتمى إلى الجد العاشر أو أكثر إلا إذا كان بينهم ميثاق أو طلوع . . وعندما يثأر الرجل لنفسه يغمس منديله أو ثوبه فى دم الرجل الذى قتله ، ثم يرفع ذلك على عصاه أو سيفه أو سلاحه ، وعندما يقبل على مضارب عشيرته تستقبله النساء بالزغاريد .

وإذا عزم واحد من نسل الجدود الذين يأتون بعد الجد الخامس الخروج من بين الخمسة يستطيع ذلك بشرط أن يشهد على عزمه رجال آخرون ، وإذا فعل ذلك لا يكون مسئولاً عن أى جناية يقترفها بعدئذ أى فرد من نسل الجدود الخمسة الأوائل ، والشروط نفسها تسرى على من كان من خمسة القاتل وثبت أن بينه وبين هؤلاء الخمسة تقاطعاً سابقاً ، فافتراق الرجل عن أولاد عمه قبل أن يقترف

أحدهم جناية قتل لا يسأل عما فعله ولا يشترك مع أهله فى دفع الدية ، وإذا أراد ابن الجد السادس أو السابع فما فوق أن يتخلص من المسئولية بعد القتل فإنه يستطيع أن يفعل ذلك بشرطين :

١ – أن يعد الخمسة (أى يذكر لأهل القتيل أسماء الأشخاص الذين يؤلفون خمسة القاتل) .

٢ – أن يعطى قعود النوم (وهو الجمل الذى يقدم إلى أهل القتيل علامة الاستسلام والاطمئنان) . ويطلق على ذلك اسم الطلوع

وإذا تبرأت أسرة من أحد أفرادها الداخلين فى خمستها لشراسة أخلاقه وأشهدت على عمله هذا رجالاً آخرين فإنها لا تسأل عن أى فعل يقترفه هذا الرجل بعد تاريخ التبرؤ ، ولا تلزم بأى قسط من دية القتيل ، وتسمى هذه البراءة من القاتل ، ويسمى مثل هذا الرجل المشمس . ويجوز لأهل القتيل ، أو أى فرد من خمسته أن يقتلوا من يصادفونه من خمسة القاتل فحسب ، بل أن ينهبوا ما يصادفونه من مال ، وتسمى حالتهم هذه فورة الدم ، ولا يحسب ما يحصلون عليه نتيجة ذلك من الدية ويستثنى من النهب الأرض والعرض .

ومدة فورة الدم يوم واحد ، ويقول البعض ثلاثة ، ولا يجوز قتل الولد غير القادر على حمل السلاح ، ولا قتل المرأة فى سبيل الانتقام .

وإذا كان بين أهل القاتل امرأة تنتسب إلى أصل القتيل يجوز لها أن تقتل واحداً من أهل بعلها أخذاً بالثأر . وفى الثأر كل قتيل بقتيل وما يزيد على ذلك يحق له الدية أو الثأر ، ولا يجوز قتل الرجل النائم لأنه معدود من الأموات ، وإذا قتل وهو نائم فإن ديته مربعة ، وإذا جاء رجل لقتل آخر ووجده نائماً فإن عليه أن يوقظه من نومه بمناداته باسمه ثلاث مرات بصوت عال يسمعه الجار وجار الجار . فإن لم يتنبه وقتله لا يدفع سوى دية واحدة ، ويحق عند الأخذ بالثأر قتل النائم دون تنبيه ، وإذا أمسكت الحكومة القاتل وسجنته فلا يحق لدمويته أن يرجعوا إلى ديارهم بعد أن خرجوا منها ، وإذا تمكن أهل القتيل قبل صدور حكم القضاء من خصومهم فإنهم يثأرون لأنفسهم بقتل واحد منهم ، وإذا قضت المحكمة بإعدام القاتل قبل أن يتمكن أهل القتيل منه تؤمن أهله فلا يجوز لهم بعد ذلك أن يثأروا لأنفسهم بأيديهم . ولو أن هناك فريقاً من العربان لا يعترفون بقضاء المحاكم فلا يروى غليلهم سوى الدم المراق بأيديهم . وإذا مات القاتل موتة طبيعية وهو فى السجن فلا يجوز لأهله أن يعدوا موته هذا سداداً عن القتل الذى اقترفه ويحق فى عرف العربان لأهل القتيل أن يثأروا لأنفسهم بقتل واحد من دموية القاتل الذى مات فى السجن . ومتى خرج القاتل من السجن بعد انقضاء مدة الحكم يجوز لأهل القتيل أن يطاردوه أو يطاردوا أى فرد من دمويته إذا لم يكونوا قد انتقموا منه فعلاً .

الجـــروح :

جزاء الجروح طبقا لمقدارها ونوعها وموضعها : فالجرح الظاهر للعيان أعظم من الجرح الذى

لا يظهر ، والقصاص يقيس الجرح بأصابعه ويجعل غرامة كل إصبع بجمل أو أقل . أما الجرح الظاهر للعيان فإنه يقيسه كما قاس الجرح غير الظاهر ، ويضاعف الغرامة أو يضع فيه ورقة بيضاء ويتقهقر إلى الوراء وهو ينظر إلى الورقة وكل خطوة يخطوها بجمل صغير أو كبير على حسب أهمية الجرح حتى تغيب الورقة عن نظره .

أما كسر الساق أو الذراع أو إتلاف العين أو أى عضو من الأعضاء الرئيسية فى الجسم فغرامتها نصف الدية ، وغرامة قطع السبابة خمسة بعران ، والخنصر بعير ، وكسر السن بعير .

والضربة التى لا تسبب جرحاً غرامتها نقود ، وضربة كفٍّ جمل ، ولكن كثيراً من العرب لا يرضون بالقصاص فى مثل هذه الجنايات بل يطلب رد الشرف .

الجرائم العاطفية والجنسية :

الهروب بالبنات – الهروب بالزوجات – اغتصاب البنات .

١ – الهروب بالبنات :

القاعدة عند البدو هى الزواج بين الأقارب ، وتبدأ المشاكل عندما تنشأ علاقة حب بين فتى وفتاة أو سيدة من قبيلة واحدة بينهما قرابة بعيدة أو من قبيلتين مختلفتين ، ويكون للفتاة خاطب من أهلها تكرهه فإذا تبعت هواها وهربت مع الحبيب تقوم قيامة أهل الشابة على أهل الشاب . فإذا هرب فتى بفتاة بكر من غير قبيلته اجتمع أهل الفتاة وأخذوا جملاً لأهل الشاب (جيرة) ورموا وجه أحد الكبار بينهم وبين أقارب البنت منعاً للشر ، ثم فزعوا وراء الشابين وردوا البنت إلى أهلها وأخذوا الفتى إلى المنشد (القاضى) فيحكم عليه من خمسة جمال إلى خمسة عشر جملاً ، ويبقى لأهل البنت الخيار : فإما أن يزوجوه إياها ويأخذوا منه مهرها أو يفصلوها عنه إلا إذا حملت منه فإنهم يأخذون منه مهراً ويزوجونه إياها اضطراراً ، وإذا كان الشاب والشابة من قبيلة واحدة كانت الغرامة أخف – جملاً واحداً – فإذا حملت منه اضطر أهلها إلى تزويجه إياها وإلزامه بدفع المهر .

٢ – الهروب بالزوجات :

إذا هرب رجل بزوجة آخر من قبيلته أو من غير قبيلته أسرع أهل الهارب إلى نقل (الجيرة) لأحد أقارب الزوجة دفعاً لشرهم ، وكل ما يفعله أهل الزوجة قبل قبول (الجيرة) من ضرب رجال أو شل مال يذهب هدراً لأنه مباح عندهم ، وبعد أن يحضر أهل الهارب والهاربة إلى العقبى (القاضى) يحكم (بأربعين جملاً وقوفاً أو غلام مكتوف) ويراد بالغلام المكتوف مقدماً للقتل ، فيتوسط الحضور بالصلح فترسو الغرامة على عشرة جمال .

٣ – اغتصاب البنات :

إذا اغتصب أحدهم بنتاً بكراً من غير قبيلته تذهب البنت لبعض الجيران من غير أهلها وتقول لهم : (أنا شاكية) فيسرى الخبر إلى أبيها ، فيرمى أحد المصلحين (وجها) بين أهل البنت وأهل الشاب ثم يطلب الأب الجانى إلى المنشد فيحكم عليه بثمانية جمال .

واغتصاب البنت البكر من نفس قبيلته جزاؤه ستة جمال واغتصاب الثيب (السيدة) من غير القبيلة جزاؤه جملان هذا إذا شكت الثيب فى الحال وإلا فالجزاء جمل صغير .

وتنتشر بين البدو عادة الزواج المبكر بأكثر من زوجة ، وعلى الرجل فى هذه الحالة أن يعدل بين نسائه فيجعل لكل منهن خيمة ويأتيها ليلة فإذا أهمل دور إحداهن أخذت خيطاً وعقدته عقدة ، وكلما أهمل عقدت عقدة أخرى حتى يفرغ صبرها ، فتأخذ الخيط المعقد ، وتذهب به إلى ذوى قرابتها فيأخذوها إلى العقبى فيحكم لها بناقة رباعية عن كل ليلة تخلى زوجها عنها .

وإذا ضرب رجل زوجته بكفه ولم يسبب الضرب جرحاً كان رضاؤها بمقابل مادى بسيط ، وإذا سبب الضرب جرحاً خفيفاً فالرضاء بنعجة رباعية ، والجرح البليغ يؤدى إلى القصاص (القاضى) ليغرمه غرامة كبيرة ، ويساعدها على الطلاق إذا طلبت ذلك ونادراً ما يطلب الرجل الطلاق وأكثر الطلاق يكون من جانب المرأة .

جرائم الإبل :

عقوبات الإبل صارمة جداً ، ويشير إلى ذلك ترك الإبل فى المراعى وحدها دون أن يجسر أحد على مسها . وهناك ظروف خاصة تسوغ للبدوى استعمال غير إبله فالمملسوع والعطشان والفار من خطر أن يركب أى ناقة يجدها فى طريقه بلا حرج عليه والمتعب يتحمل المسئولية إذا ركب ناقة غيره .

تأثير القلد فى القضايا البدوية :

القبائل التى يربطها القلد لا ترفع خصوماتها إلى الزيادى رأساً بل إلى الحسيب ، فإذا اعتدت قبيلة منها على جمال الأخرى ذهب صاحب الإبل إلى الحسيب وهو يرد له الإبل مع غرامة جنيهين عن كل جمل .

تأثير الحلف فى القضايا البدوية :

وأما القبائل التى يربطها الحلف فترفع خصوماتها إلى الزيادى بعد رفعها إلى الحسيب ، فإذا سرق أحدهم جملاً من قبيلة مرتبطة مع قبيلة بحلف ذهب صاحب الجمال إلى حسيب القبيلة السارق فيرد له الجمال المسلوبة ويجر السارق إلى الزيادى فيغرمه غرامة كبيرة .

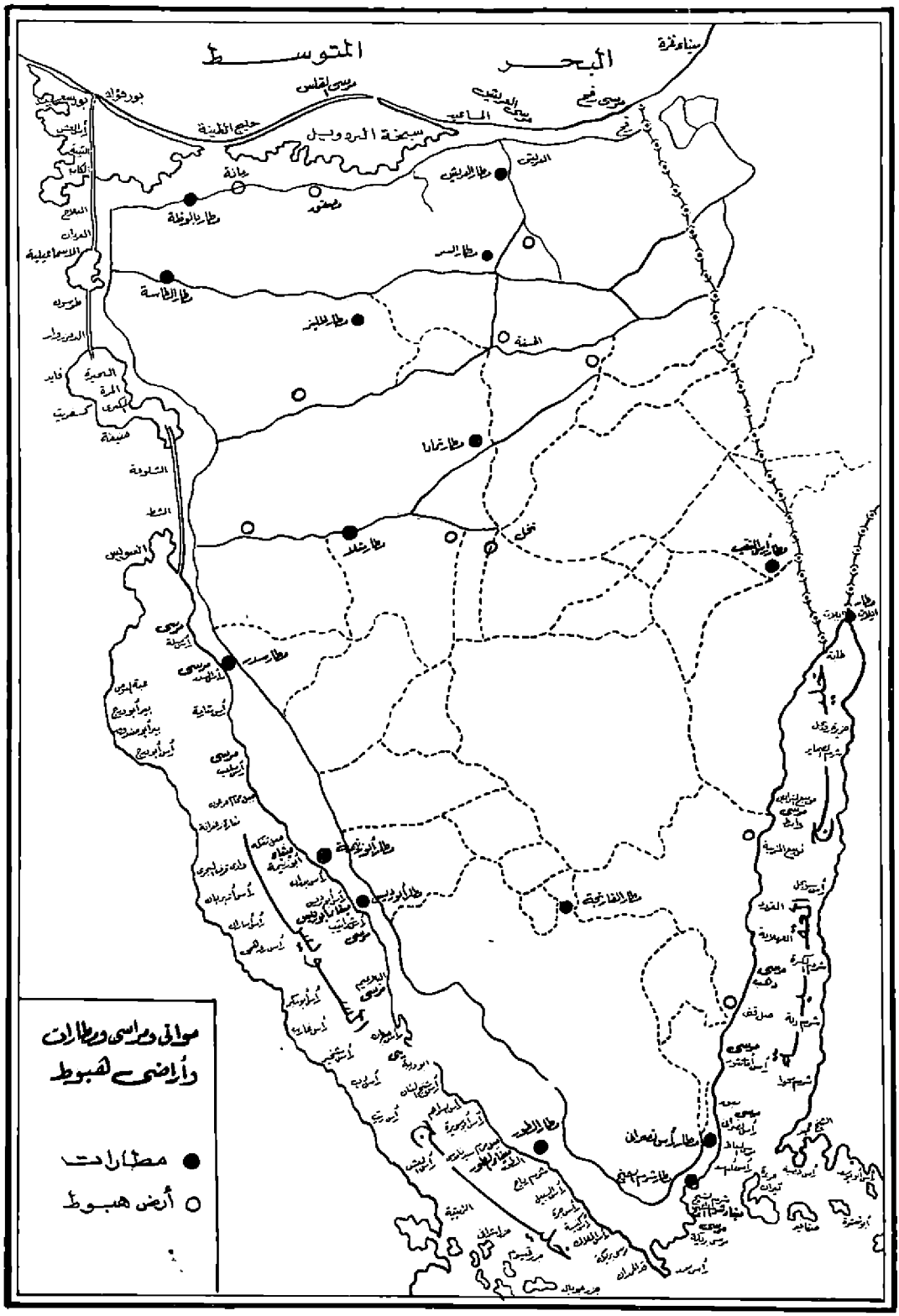
البحر المتوسط
موانئ ومراسي ومطارات وأراضي هبوط
مطارات
أرض هبوط